الباب الثاني

أدب العـــلـم

شرف العلم وفضله: اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا رَغَّبَ فِيهِ الرَّاغِبُ، وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَ وَجَدَّ فِيهِ الطَّالِبُ، وَأَنْفَعُ مَا كَسَبَهُ وَاقْتَنَاهُ الْكَاسِبُ؛ لِأَنَّ شَرَفَهُ يُثْمِرُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَفَضْلَهُ يُنْمِي عَلَى طَالِبِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فَمَنَعَ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ لِمَا قَدْ خُصَّ بِهِ الْعَالِمُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] فَنَفَى أَنْ يَكُونَ غَيْرُ الْعَالِمِ يَعْقِلُ عَنْهُ أَمْرًا، أَوْ يَفْهَمُ مِنْهُ زَجْرًا.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُوحِيَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنِّي عَلِيمٌ أُحِبُّ كُلَّ عَلِيمٍ»(١).

وَرَوَى أَبُو أُمَامَةَ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَجُلَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَالِمٌ وَالْآخَرُ عَابِدٌ فَقَالَ ﷺ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ رَجُلًا»(٢).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ.

مزايا العلم: وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ: تَعَلَّمِ الْعِلْمَ، فَإِنْ يَكُنْ لَك مَالٌ كَانَ لَك جَمَالاً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَك مَالٌ كَانَ لَك مَالاً.

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الأحياء» ١/ ٢٥٥، ذكره ابن عبد البر معلقاً ولم أظفر له بإسناد.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم (٢٦٨٥)، كتاب «العلم»، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال الترمذي: حديث غريب.

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا سُدْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً عِشْتُمْ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْعِلْمُ شَرَفٌ لاَ قَدْرَ لَهُ، وَالْأَدَبُ مَالٌ لاَ خَوْفَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: الْعِلْمُ أَفْضَلُ خَلَفٍ، وَالْعَمَلُ بِهِ أَكْمَلُ شَرَفٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يُقَوِّمُكَ وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا، وَيُقَدِّمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا، وَيُصْلِحُ زَيْفَكَ وَفَاسِدَكَ، وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ، وَيُقَوِّمُ عِوَجَكَ وَمَيْلَكَ، وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ، وَأَمَلَكَ.

قيمة المرء ما يحسنه: وَقَالَ عَلِيٌّ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ، فَأَخَذَهُ الْخَلِيلُ[1] فَنَظَمَهُ شِعْرًا فَقَالَ:

لاَ يَكُونُ الْعَلِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ ... لاَ وَلاَ ذُو الذَّكَاءِ مِثْلَ الْغَبِيِّ

قِيمَةُ الْمَرْءِ قَدْرُ مَا يُحْسِنُ الْمَرْ ... ءُ قَضَاءٌ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيِّ

أهل الجهل لا يعرفون فضل العلم: وَلَيْسَ يَجْهَلُ فَضْلَ الْعِلْمِ إِلاَّ أَهْلُ الْجَهْلِ؛ لِأَنَّ فَضْلَ الْعِلْمِ إِنَّمَا يُعْرَفُ بِالْعِلْمِ. وَهَذَا أَبْلَغُ فِي فَضْلِهِ؛ لِأَنَّ فَضْلَهُ لاَ يُعْلَمُ إِلاَّ بِهِ. فَلَمَّا عَدِمَ الْجُهَّالُ الْعِلْمَ الَّذِي بِهِ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى فَضْلِ الْعِلْمِ جَهِلُوا فَضْلَهُ، وَاسْتَرْذَلُوا أَهْلَهُ، وَتَوَهَّمُوا أَنَّ مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ الْمُقْتَنَاةِ، وَالطُّرَفِ الْمُشْتَهَاةِ، أَوْلَى أَنْ يَكُونَ إِقْبَالُهُمْ عَلَيْهَا، وَأَحْرَى أَنْ يَكُونَ اشْتِغَالُهُمْ بِهَا.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ[2] فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: الْعَالِمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلاً، وَالْجَاهِلُ لاَ يَعْرِفُ الْعَالِمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا. وَهَذَا صَحِيحٌ، وَلِأَجْلِهِ انْصَرَفُوا عَنِ الْعِلْمِ، وَأَهْلِهِ انْصِرَافَ الزَّاهِدِينَ، وَانْحَرَفُوا عَنْهُ وَعَنْهُمُ انْحِرَافَ الْمُعَانِدِينَ؛ لِأَنَّ مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ.

---

(١) الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي، أبو عبد الرحمن البصري، النحوي صاحب كتاب العين من كبار أتباع التابعين توفي بعد ١٧٠هـ. «تهذيب التهذيب» ٣/ ١٦٤.

(٢) ابن المعتز: عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي الشاعر الأديب تولى الخلافة يوماً وليلة، له عدة مؤلفات منها «طبقات الشعراء مات مخنوقاً سنة ٢٩٦هـ. «الأغاني» ١٠/ ٣٧٤.

من جهل شيئاً عاداه: وَأَنْشَدَنِي ابْنُ لَنْكَكَ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ[١]:

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا كَذَاكَ يُعَادِي الْعِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُهْ
وَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّرًا وَيَكْرَهُ لاَ أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

العلم أفضل من المال: وَقِيلَ لِبَزَرْجَمْهَرَ: الْعِلْمُ أَفْضَلُ أَمْ الْمَالُ؟ فَقَالَ: بَلِ الْعِلْمُ. قِيلَ: فَمَا بَالُنَا نَرَى الْعُلَمَاءَ عَلَى أَبْوَابِ الْأَغْنِيَاءِ وَلاَ نَكَادُ نَرَى الْأَغْنِيَاءَ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ؟ فَقَالَ: ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِمَنْفَعَةِ الْمَالِ وَجَهْلِ الْأَغْنِيَاءِ لِفَضْلِ الْعِلْمِ.

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: لِمَ لاَ يَجْتَمِعُ الْعِلْمُ وَالْمَالُ؟ فَقَالَ: لِعِزِّ الْكَمَالِ.

الجهل موت قبل وقته: وَأُنْشِدَتْ لِبَعْضِ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ:

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَإِنْ امْرَأً لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

الحاجة إلى العلم أشد: وَوَقَفَ بَعْضُ الْمُتَعَلِّمِينَ بِبَابِ عَالِمٍ ثُمَّ نَادَى: تَصَدَّقُوا عَلَيْنَا بِمَا لاَ يُتْعِبُ ضِرْسًا، وَلاَ يُسْقِمُ نَفْسًا. فَأُخْرِجَ لَهُ طَعَامٌ وَنَفَقَةٌ. فَقَالَ: فَاقَتِي إِلَى كَلاَمِكُمْ، أَشَدُّ مِنْ فَاقَتِي إِلَى طَعَامِكُمْ، إِنِّي طَالِبُ هُدًى لاَ سَائِلُ نَدًى. فَأَذِنَ لَهُ الْعَالِمُ، وَأَفَادَهُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلَ عَنْهُ فَخَرَجَ جَذِلاً فَرِحًا، وَهُوَ يَقُولُ: عِلْمٌ أَوْضَحَ لُبْسًا[٢]، خَيْرٌ مِنْ مَالٍ أَغْنَى نَفْسًا.

لا نهاية للعلم: وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ الْعُلُومِ شَرِيفَةٌ، وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهَا فَضِيلَةٌ، وَالْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِهَا مُحَالٌ. قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَنْ يَعْرِفُ كُلَّ الْعُلُومِ؟ فَقَالَ: كُلُّ النَّاسِ. وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ظَنَّ أَنَّ لِلْعِلْمِ غَايَةً فَقَدْ بَخَسَهُ حَقَّهُ، وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ

---

(١) ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد، أبو بكر الأزدي البصري نزيل بغداد، كان رأساً في العربية وأشعار العرب وله شعر كثير عاش بضعاً وتسعين سنة تُوُفِّيَ سنة ٣٢١هـ «الوافي بالوفيات» ١/ ٢٨٨.

(٢) لبس: شبهة.